المشرق

المسيح الملك

نظر لاهوتي تاريخي اجتماعي للاب عمانويل رولان اليسوعي

في مثل هذا الاسبوع السابق لعيد الفصح وفي صباح يوم جمعة الآلام فاه الربُّ يسوع بتلك الآية التي لم يخشَ الاعلان بها أمام ممثل قيصر اذ سألهُ بيلاطوس (يوحنا ١٩: ٣٧): «أفملكٌ انت؟ اجابه يسوع: انتَ قلت انّي ملكٌ». والعجبُ في ذلك إنهُ صرّح بملكهِ في ساعةٍ كان يعلم انَّ كلمةً كهذه تكون سبباً لموتهِ كما انَّ تصريحهُ امام مجمع اليهود بكونهِ ابن الله عُدَّ كافياً للحكم عليهِ بالاعدام (متى ٢٦: ٦٦). واعجب منهُ انهُ هو الذي كان يأنف من كلّ آيةٍ وشرف في حياتهِ اراد في هذا المقام الرسميّ بازاء العالمَين الدينيّ اليهوديّ والمدنيّ الروماني ان يجاهر بحقوق ملكهِ ويقرّرها على رؤوس الأشهاد مهما عرَّضهُ ذلك الى بغض اعدائهِ والى الموت عينهِ. وكأنَّ بيلاطس لمَّا وضع فوق رأسهِ عنوانهُ «يسوع الناصري ملك اليهود» لم يفعل الّا مدفوعاً بإرادة علويّة. واذ الحَّ عليهِ اليهود بان يغيّر تلك الكتابة صرفهم قائلاً: «ما كتبتُ فقد كتبتُ»

فبكلّ حقّ اذن تقدَّم الحبر الأعظم بيوس الحادي عشر الى العالم الكاثوليكي بان يُقام عيد خاصّ للسيد المسيح الملك ونشر في ذلك براءة محكمة البناء ساطعة الادلّة أيّد بها حقيقة ملك السيّد المسيح وألحقها بامرهِ المطاع ان يُحتفَل بهذا العيد في سائر كنائس العمور. وها نحن نتقصّى آثار إمام الاحبار ونفرّد لهذا الموضوع الصفحات التالية

أ السيد المسيح موعود كملك في العهد العتيق

كما سبقت الاسفار المقدّسة في العهد العتيق فتنبأت على كل احوال السيد المسيح في حياته وممانه وقيامته كذلك صرّحت جهارًا بانّهُ سيكون ملكاً

﴿شهادة موسى﴾ فهذه كتب موسى سبقت الجميع في الشهادة على ملك المسيح. ففي سفر العدد (٢٤: ١٩) يُدعى «المتسلّط الذي من يعقوب»

﴿مزامير داود﴾ وفي مزامير داود يوصف ملك المسيح وصفاً مدقّقاً لا يصلح لغيره. فانّهُ في المزمور الثاني بعد ذكر انتصار الشعوب «على الربّ وعلى مسيحه» يوجّه الربّ الاله الكلام الى المسيح بقوله: «اني مسحتُ مَلكي على صهيون جبل قدسي. قال لي: انت ابني وانا اليوم ولدتك سَلْني فأُعطيكَ الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك». ومثلهُ صراحةً المزمور ٤٤ حيث يصف داود المسيح كملكٍ جبّار وينعتهُ بالجلال والبهاء والعدل ويطريّ قوّتهُ بانتصاره على الشعوب ويذكر سيفهُ على فخذهِ ونبالهُ المسنونة التي يرشق بها اعداءهُ فيسقطون امامهُ. ثم يخاطبهُ كالهٍ وكملكٍ معاً بقوله: «عرشُك يا الله الى الدهر والابد وصولجانُ مُلكك صولجان استقامة». وكذلك اتّسع داود في المسيح الملك في مزموره ال ٧١ فوصفهُ بما لا ينطبق على اي ملك من الارض فتنبأ عنهُ «انهُ سيملك من البحر الى البحر ومن النهر الى اقصى الارض» (ع٧) وانهُ «تسجد لهُ جميع الملوك وتتعبّد لهُ كل الامم» (ع ١١ وان اعداءهُ «يلحسونهُ ما دامت الشمس والقمر الى جيل الاجيال» (ع ٥) وانّ «اسمهُ يكون الى الابد. ما دامت الشمس يدوم اسمهُ. ويتبارك فيهِ جميع قبائل الارض وتغبطهُ كلّ الامم» (ع ١٧). فهذه آيات أولى ان تُدعى تأريخاً منها نبوّةً

﴿الانبياء﴾ وما قولنا بنبوّات اشعيا وارميا ودانيال وغيرهم. فهذا اشعيا (٩: ٦—٧) اذ يصف ميلاد المسيح يخصّهُ باللاهوت والرئاسة والملك الى الابد فيقول: «وُلد لنا ولدٌ أُعطي لنا ابنٌ فصارت الرئاسة على كتفهِ ودُعي اسمهُ عجيباً مشيراً الهاً جبّاراً ابا الابد ورئيس السلام لنموّ الرئاسة والسلام لا انقضاء لهُ على عرش داود ومملكتهِ ليقرّها ويوطّدها بالانصاف والعدل الى الابد». فقد اتّفق كلُّ مفسّري هذه الآية من يهود ونصارى على انّها قيلت في المسيح وحدهُ

ويجاريه ارميا فيقول (٢٣: ٥): ستأتي أيام يقول الربّ أقيم فيها لداود نبتاً صديقاً ويملكُ ملكٌ يكون حكيماً ويجري الحكم والعدل في الارض . . . . ولا يخالفها دانيال اذ فسّر حلم نبوكدنصّر فقال انّ الحجر الذي صدم التمثال الذي رآه فسحقهُ (٢: ٤٤) انّما هو رمزٌ عن مملكة المسيح التي لا تُنقض الى الابد «فتسحق وتُفني جميع الممالك وهي تثبت الى الابد» . ثم كرّر الامر باجلى بيان كما رآهُ فقال (٧: ١٢ــ١٣): ورأيت في رؤى الليل واذا بمثل ابن البشر آتياً على سحاب السماء فبلغ الى قديم الايام . . . وأُوتي سلطاناً ومجداً وملكاً فجميع الشعوب والامم والالسنة يعبدونهُ وسلطانهُ سلطانٌ ابدي لا يزول وملكهُ لا ينقرض» وقام بعدهم زكريّا ووصف دخول المسيح الملك اورشليم في احد الشعانين بقولهِ (٩: ٩): «ابتهجي جدًّا يا بنتَ صهيون . . . هوذا ملككِ يأتيك صدّيقاً مخلّصاً وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان»

٢ تُثبت ملكهُ آيات العهد الجديد

وما العهد الجديد إلّا تحقيق مواعيد العهد العتيق وصداهُ وكشف الستار عن رموزهِ . فما كادت انوارهُ تلوح حتى بُشّر بالمسيح كملك

﴿الانجيل﴾ وذلك في اصرح ما يكون من الكلام في خطاب الملاك جبرائيل لمريم العذراء اذ بشّرها بمولد ابنها يسوع قائلًا عنهُ (لوقا ١: ٣٢): «وهذا سيكون عظيماً وابن العلي يُدعى وسيعطيهِ الربّ الاله عرش داود ابيهِ ويملك على آل يعقوب الى الابد ولا يكون لملكهِ انقضاء»

وما لبث ملوك الامم ان اتوهُ طالبين «اين هو المولود ملك اليهود» ومقدّمين لهُ هدايا الملوك ذهباً ولباناً ومرًّا (متى ٢) محقّقين نبوّةَ داود القائل (مز ٧٢: ١٠): «ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليهِ الهدايا. ملوك شبأ وسبأ يقرّبون لهُ العطايا» ونبوّةَ اشعيا (٦٠: ٦): «كلُّهم من شبأ يأتون حاملين ذهباً ولباناً يبشّرون بتسابيح الربّ» . وهكذا عرفهُ ليل اسرائيل منذ ظهورهِ . فان نتنائيل لمّا اتى بهِ فيلبّوس الى المسيح ورأى شيئاً من آياتهِ صرخ قائلًا (يوحنا ١: ٤٩): «يا معلّم انت ابنُ الله انت ملك اسرائيل» . وكذلك الشعب لمّا رأوا كيف قات بخمسة ارغفة من الخبز وبسمكتين

الوفاً من الناس اعترفوا بأنهُ هو النبيّ الآتي الى العالم وحاولوا ان يقيموهُ ملكاً لولا فرارهُ منهم وانصرافهُ وحدهُ الى الجبل (يوحنا ٦ : ١٤ ــ ١٥)

وقد سبق انهُ اعترف امام بيلاطوس بكونهِ ملكاً الّا انهُ بيّن انَّ ملكهُ ليس كملك بقيّة ملوك الارض يختارهم البشر بل هو من السماء. فقال (يوحنا ١٨ : ٣٦) : « انَّ مملكتي ليست من هذا العالم ». واقرَّ بيلاطوس بملكهِ اوّلاً اذا اجاب اليهود الطالبين صَلبهُ (يوحنا ١٩ : ١٥) : « أأصلبُ مَلِككم ؟ » ثم اعلن بملكهِ بالعنوان الذي وضعهُ على صليبهِ وان لم يدرك سرّ كتابتهِ. كما انَّ الجند الهازئين بهِ اذ كلّلوهُ بالشوك والبسوهُ ثوباً من الارجوان وأقبلوا اليهِ قائلين: السلام يا ملك اليهود (يوحنا ١٩ : ٢ ــ ٣) انما كانوا يقرّون من حيث لا يدرون بملكهِ

﴿كتابات الرسل﴾ فلو تخطّينا من الانجيل الطاهر الى كتابات الرسل لوجدنا هذه الحقيقة مكرَّرة في رسائلهم لا يرتابون في صحّتها

فهذا (سفر اعمال الرسل) يدلّ في فصلهِ الاوّل ما كان يشغل افكار تلامذة المسيح فانهم قبل صعود الربّ اذ كان يظهر لهم ويكلّمهم بما يختصّ بملكوت الله اعربوا عن خواطر قلبهم فسألوهُ (١ : ٦) : « يا ربّ أفي هذا الزمان تردّ الملك في اسرائيل » فلو لم يعرفوا انهُ ملك لَما ألقوا عليهِ هذا السؤال

وهذا (الرسول بولس) يعلن بملكهِ المطلق والعمومي فيقول في رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس (٦ : ١٤ ــ ١٥) ان يسوع المسيح «هو وحدهُ ملك الملوك وربّ الارباب ولهُ وحدهُ الخلود». وقد رأى يوحنا في سفر الرؤيا (١٩ : ١٦) هذه الآية عينها «مكتوبةً على ثوبهِ وعلى فخذهِ»

وفي موضع آخر (١ كور ١٥ : ٢٥) يؤكد بولس الرسول انهُ «لا بدَّ ان يملك المسيح حتى يضع جميع اعدائهِ تحت قدمَيهِ» مشيراً الى قول داود بالنبوَّة فيهِ (مز ١٠٩ : ١) : قال الربّ لربي اجلس عن يميني حتى اجعل اعداءك موطئاً لقدميك

وهذا (بطرس الرسول) يدعو المسيحيين في رسالتهِ الاولى (٢ : ٩) «أمّةً مختارة وكهنوتاً ملوكيّاً» فلولا اعتقادهُ بالمسيح كذلك لَما صدقَ قولهُ

ومثلها يوحنا في سفر الرؤيا (١١ : ١٥) فقد اخبر انهُ سمع في السماء اصواتاً عظيمة تقول: «ان مُلك العالم قد صار لربّنا ولمسيحهِ فهو يملك الى دهر الدهور»

٣ المسيح الملك في التاريخ والطقوس

انَّ التاريخ كما الطقوس الكنسيَّة تشهد على ملك المسيح . فامَّا التاريخ فلسانُ حالهِ فنُّ التصوير فاذا استقريتَ صور السيد المسيح مباشرةً من زماننا هذا الى عهد الديامبس وجدت المصوّرين يتفنّنون في تمثيلهم المسيح كملك . فقد صوَّروهُ بهيئة الملك على رأسهِ تاج الملوك وفي يمناهُ الصولجان وهو جالس على عرش الملوك وأمامهُ الملائكة والبشر ساجدين . وربَّما صوَّروهُ وفي يدهِ الكرة الارضيَّة دلالةً الى سلطانهِ المطلق (اطلب هذه الصورة في رأس هذا العدد) وحيناً يمثلونهُ في يوم الدين الاخير حين يجلس على عرش مجدهِ كملك وجميع الملائكة معهُ ليدين البشر . كما جاء في متى (٢٥ : ٣١)

وفي المتاحف الدوليَّة عدَّة ادوات من المعادن الثمينة كتيجان وصوالج كانت صيغت لتُجعل على هامة السيّد المسيح وفي يدهِ . ومثالها صور قديمة معدنيَّةٌ من ذهب وفضة وعاج كانت ترصَّع بها الاناجيل في الكنائس يمثَّل بها المسيح في هيئة الملوك

وناهيك عن المنسوجات الجميلة والمطرَّزة بضروب الاسلاك الفضيَّة والذهبيَّة والنقوش الملوَّنة والمزركشة والشارات الملكيَّة التي تلوح على شخص السيّد المسيح . ومنها مثال لطيف غالي الثمن يرقى الى عدَّة اجيال في مكتبتنا الشرقيَّة

ويطول بنا الكلام لو استقرينا ما كتبهُ الآباء تباعاً من اوَّل اجيال الكنيسة الى القرون الوسطى عن ملك المسيح

وما قولنا بالطقوس الكنسيَّة الشرقيَّة والغربيَّة فانَّها مُفعَمة بالتسابيح المطنِّبة لاقنوم السيد المسيح كإلهٍ وملكٍ معاً . فالكنيسة الغربيَّة مثلاً تفتتح التسابيح المقدَّمة على فرائضها الدينيَّة باستدعاء المؤمنين كل يوم للسجود للسيّد المسيح إمَّا كملك الملائكة او كملك الرسل او الشهداء او المعترفين او العذارى على اختلاف اعياد أيام السنة . وقس عليهِ صلواتها وتسابيحها النثريَّة والنظميَّة في كل ادوار العام الكنسي

وليست الكنائس الشرقيَّة لتشذّ عن هذه القاعدة فان اعتقادها بملك المسيح يجاري ايمانها بلاهوتهِ مهما اختلفت فرائضها وطقوسها ولغاتها وهي كلُّها قد استقت هذا التعليم من المناهل الرسوليَّة التي رويناها سابقاً

٤ خواصّ ملك السيّد المسيح

لا ريب اذن في كون السيّد المسيح ملكاً بل ملك الملوك ولكن يا تُرى ما هي ميزة هذا الملك ؟ فهل مُلكهُ كملك سلاطين الارض ورؤسائها ؟ فجوابنا على ذلك ان ملك السيّد المسيح يمتاز عن سواهُ ويفوقهُ فوقاً عظيماً

واوّل ميزاتهِ اصلهُ . فان كانت على قول الرسول الامناء المصطفى (رومية ١٣ : ١) «كل سلطة من الله» . فان السلطة البشريّة تُعزى الى الله بالتوسّط ليست هي تولّا من الله . امّا سلطة السيد المسيح هي تولّا من ابيهِ السماوي ولذلك يقول لبيلاطوس : «ان مملكتي ليست من هذا العالم» . وان اردت ان تعرف ما هو اساس ذاك السلطان العجيب فتجده في اتّحاد طبيعتي السيّد المسيح الالهيّة والانسانيّة في وحدة اقنومهِ الالهي . فبمجرّد هذا الاتحاد حاز من ابيهِ السماوي السلطان على الخلائق باسرها

ويمتاز ثانياً ملك السيّد المسيح عن ملك البشر بكونهِ مطلقاً وذلك ما اشار اليهِ بقولهِ للرسل قبل صعودهِ (متى ٢٨ : ١٨) : «قد أُعطيتُ كلّ سلطان في السماء والارض» . فبقولهُ «كلّ سلطان» اثبتَ ان لا شيء يحصر سلطتهُ ويحدّدها وبقولهِ «في السماء والارض» اراد امتدادها الى كل مكان . ثمّ دلّ على ثباتها الى آخر الازمنة بقال (ع ٢٠) : «ها انا معكم كلّ الايّام الى منتهى الدهور»

وبما انّ السلطان لا يكون مطلقاً ما لم يحتوِ على السُّلطات الثلث اعني السلطة التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة فلا بُدّ من القول ان المسيح قد تولّاها كما تشهد عليهِ اعمالهُ في سني تبشيرهِ فانه وضع عدّة سنَن وشرائع هي اساس الدين المسيحي . وامر بالخضوع لها تحت ظائلة العقاب مصرّحاً بان كل الحكم قد أُعطي لهُ من الاب (يوحنّا ١٥ : ٢٢) ويجرياً ذلك الحكم في يوم الدينونة بمجازاة الابرار وعقوبة الاشرار (متى ٢٥ : ٣١ــ٤٦)

وللملكهِ ميزة ثالثة وهي انّها تتناول كل الشعوب ليس التنصّرين فقط من ابناء الكنيسة الكاثوليكيّة او من الذين انشقّوا عنها بالبدَع والعصيان بل كل الامم مهما كانت عناصرها واجناسها فانّ الاب السماوي قد اعطاها كلّها المسيح كميراث وقد بيّن الامر الملكُ والنبي داود في مزمورهِ الثاني حيث يروي كلام الله الى مسيحهِ

فيقول (٢ : ٧) : «قال لي انت ابني انا اليوم ولدتك سلني فأعطيك الامم ميراثاً لك واقاصي الارض ملكاً لك» وقد استحق السيد المسيح هذه السلطة السامية بوجه آخر لأنه افتدى جميع البشر من الهلاك باراقة دمه فانتقذهم من تبعة الخطيئة الجدّية

ويمتاز اخيراً ملك السيد المسيح بغايته الشريفة فان الملوك جعلت السلطة في يدهم لتدبير امور رعاياهم الزمنيّة وتنظيم احوالهم في المعيشة الاجتماعيّة ولا سلطة لهم على النفوس إلّا عرَضاً. بخلاف ملك السيد المسيح فان غايته الاولى تدبير النفوس وتقديسها وتنوير العقول بمعرفة الله سبحانهُ وتعالى وتسليم وصاياهُ وبها يبلغ البشر الى سعادتهم الابديّة. وهذه السلطة تتناول ايضاً ثانويًا احوال البشر المادّية التي يترك تدبيرها لارباب العالم تحت مراقبته العليا

٥ كيف يتمّ ملكُ السيد المسيح

يتمّ ملك السيد المسيح بنوعين: بفعله الخاص ثمّ بواسطة كنيسته

اما (فعلهُ الخاص) فيجري في القلوب بما يُفيض عليها من النعم فيأسرها بحبه ويدفعها الى القداسة والعيشة بالله. وهذه النعم يسبغها الربّ خصوصاً باسراره الحيّة بالمعموديّة والتثبيت والتوبة ولا سيما سرّ محبّته في القربان. واذا دخلت النعمة في النفس أصبحت مشاركةً للاهوت وصارت هيكلاً حيًّا للروح القدس فيحلّ فيها الربّ كما قال (يوحنّا ١٤ : ٢٣) : «ان احبّني احدٌ يحفظ كلمتي وابي يحبّهُ واليه نأتي ونعمل مقاماً». ويستطيع الانسان اذ ذاك ان يقول مع الرسول بولس (غلاطية ٢ : ٢٠) : «انا حيّ لا انا بل انّما المسيح حيٌّ فيَّ»

واذا اتّحد الانسان بالمسيح وحيَ به (يوحنّا ٦ : ٥٨) اسرع الى كل عمل صالح ولا تعوقهُ المشقّات ونكبات الحياة الحاضرة اذ يستمدّ قوّتهُ من الله فيردّد آية الرسول (فيلبي ٤ : ١٧) : «اني استطيع كلّ شيء في الذي يقويني». بل يزيد فرحهُ مع ازدياد شدائد الحياة كما قال (٢ كور ١٢ : ٩) : «فبكل سرور افتخر بأوهاني لتستقرّ فيَّ قوّة المسيح. فلذلك أرتضي بالاوهان والشتائم والضرورات والاضطهادات والشدائد لاجل المسيح لاني متى ضعفتُ فحينئذٍ انا قويٌّ»

وهذا ملكُ المسيح على النفوس هو مُلكُ محبّته لان الله محبّةٌ هو (١ يوحنا ٤ :

١٦) ومركز محبّة الله في قلب يسوع الاقدس « فمنهُ «تصدر كل عطيّة صالحة وكل موهبة كاملة» (يعقوب ١ : ١٧) واذا تملّك على قلب الانسان اجتذبهُ الى كلّ كمال فينير عقلهُ لانهُ هو مالك العقول والحقّ بالذات ويقوّي إرادتهُ لان في يدهِ مفتاح القلوب فيجتذبها بحسناتهِ وتجري وراءهُ مبتهجةً بأدهانهِ الطيّبة العَرف (نشيد ١ : ٢ — ٣) الى يوم وداع الرء لهذه الحياة فيدخل فرح سيّده في الاخدار الابديّة

وامّا (توسّط الكنيسة) فلأنّ المسيح اقامها على الارض لتنوب عنهُ بازاء الشعوب ووكّل اليها نشر ملكهِ على الارض فتنشرهُ بدعوة الامم الى الدين الحقّ وفقاً لامرهِ الى رسُلهِ: «اذهبوا وتلمذوا كل الامم . . . وعلّموهم كلّ ما اوصيتكم بهِ» (متى ٢٨ : ١٩). وهذه الوصيّة المحتومة عليها تقوم بها بواسطة مبشّريها في كل انحاء المعمور ولا يسوغ لاحد من البشر ان يصدّها عن بلوغ هذه الغاية. لانّها ان لم تفعل كانت مسئولة عن إهمالها كما قال القديس بولس (١ كور ٩ : ١٦): «اني ان بشّرتُ فليس لي فخرٌ لان ذلك ضرورةٌ موضوعةٌ عليّ والويلُ لي ان لم أُبشّر»

فعلى الكنيسة ان تُقرّر ملكَ المسيح في المجتمع البشري مباشرةً بالعائلة التي هي نواة ذلك المجتمع فتسهر على صلاحها بتقديس سرّ الزواج وبتربية الاولاد الصالحة وتأسيسهم في مبادئ الفضيلة والدين والسّهر عليهم في ايّام تثقيفهم بالآداب والعلوم لئلّا يُدخلهم اهلهم في مدارس فاسدة او لادينيّة فيفقدوا ايمانهم وبراءتهم

وكما تراقب الكنيسة العائلة كذلك تسعى الى مراقبة السلطات المدنيّة لتسعى على قدر استطاعتها كلّ ما يجحف بحقوق الدين وتدعم ملك السيد المسيح الذي وحدهُ يستطيع ان يمنح الهيئة الاجتماعيّة الراحة والسلام وقد قال احد الآباء وهو نِعم القول: «ان المسيح هو ركنُ كل مجتمع انساني وبهِ يُحلُّ كلُّ مُشكل في جماعة البشر». ولهذا لا نُدحة من توطيد ملكهِ ليحصل البشر على ما يؤملون من الرقي والامان. ولمّا كان مُلك المسيح مُلكَ حُبّ وإحسانٍ والحبُّ والاحسان يفيضان من قلبهِ يجب ان يملك قلبهُ على العالم كما اوحى الى القديسة مرغريتا مريم فقال لها: «اني اريد ان أملك. وإن عارضني اعدائي في تمليكي ملكتُ على الرغم منهم . . .» ولا خوف على البشر من ملكهِ فانّهُ هو لخيرهم ولسعادتهم ليس الّا وبقدر ما يزيد نفوذهُ يزيد ايضاً سعدهم ولهذا السبب روّجت الكنيسة تكريس الامم باجمعها لقلب يسوع وقرّرهُ

الطيب الذكر البابا لاون الثالث عشر في مفتتح القرن العشرين اذ كرّس العالم بتمامه الى قلب يسوع. وقام ارباب عدّة دول وجمعيات فكرّسوا في العالمين دُوَلهم وسعيًا لهذا القلب الالهي. وانتشرت اليوم في انحاء العالم الكاثوليكي عادة تكريس العيال لقلب يسوع فبلغ عددها عدّة ملايين ممّن نصبوا في بيوتهم صورتهُ واتخذوهُ كشفيع أُسرهم وكملكهم الخاص

وما كان هذا كلّهُ إلّا تمهيدًا الى ما تقدّم بهِ آخرًا قداسة الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر بان يُحتفل بعيدٍ خصوصي للسيد المسيح بصفة كونهِ ملكاً على العالم

٦ العيد الجديد للمسيح الملك

ليست الاعياد الجديدة في الكنيسة بدعةً لانَّ الكنيسة ليست جسماً ميتاً كاجساد الفراعنة المحنَّطة الباقية على حالها بلا نموّ ولا حراك وانّما هي جسمٌ حيّ ادبي ديني ينتذي وينمو بكل ما يُنعش روح الدين. وعلى هذا جرى الاحبار الرومانيون في توالي الدهور اذا ما رأوا ما يوجب انشاء اعياد جديدة كما فعلوا اذ اقاموا عيدًا خصوصيًا تتذكار جسد الربّ ولاكرام قلبهِ الاقدس استنادًا الى ما اوحى بهِ الله الى بعض اوليائهِ. فلا عجب بان فكّر الحبر الاعظم الجالس سعيدًا على كرسي خلافة بطرس الرسول في اقامة عيدٍ للمسيح الملك في سائر الكنائس لاسباب صوابيّة هي غاية في المناسبة

وذلك اوّلًا لمناهضة ما شاع في عهدنا من روح الاستبداد والحرّية المفرطة فلا نسمع إلّا اصوات المتظلّمين من السلطة الطالبين الاستعمار الداعين الى كسر نير العبوديّة. فالكنيسة اذ تعرض عليهم إكرام المسيح الملك توحي اليهم بسلطة الهيّة لا ندحة من الخضوع لها سلطة الخالق على خليقتهِ سلطة لينة النير خفيفة الحمل (متى ١١: ٣٠) اليها مرجع كل سلطة بشريّة والتي وحدها تحرّر الانسان بمعرفة الحقّ كما قال الربّ (يوحنا ٨: ٣٢) : «وتعرفون الحقّ والحق يحرّركم». فاذا خضع الانسان لهذا الملك لا ينالهُ من طاعتهِ أدنى ذلّ واحتقار بل على خلاف ذلك يتنصّل من عبوديّة الشهوات ويخدم ذاك الذي تُشرّف خدمتهُ كلّ المخلوقات لان خدمة الله كما قال كتاب الاقتداء بالمسيح هي الملوكيّة بالذات

ثمّ في ملوكيّة المسيح صورةٌ حيّة صادقة لما استحبّهُ البشر في بعض كبار الملوك من جلال وعظمة وسلطان مع رقّة وانعطاف وبرّ على المرؤوسين وتفانٍ في سبيل

نجاحهم ورقيهم وعدم مراعاة للاشخاص فكل هذه الصفات التي قلّما وُجدت في ملوك الارض تجدها في اقصى كمالها في شخص السيّد المسيح الذي بفدائه للبشر ربح محبّتهم وبصليبه اجتذبهم اليه (يوحنا ١٢ : ٣٢) ولذلك تسبح الكنيسة وتنشد في يوم جمعة الآلام «ان الله قد ملك على الشعوب بخشبة صليبه»

ومن اعظم الاسباب التي دفعت الحبر الاعظم الى انشاء هذا العيد عيد المسيح الملك الاحتجاج على روح العصر الجديد الذي ينبذ كلّ وحي وكل دين لإثبات ما يدعونهُ بالعلمانيّة فيجعلون هذه الكلمة كشعار يقصدون منه انكار ما للسيّد المسيح من السلطان على الشعوب ومناهضة الكنيسة ليصدُّوها عمّا أُعطيَت من الحقوق لتعليم الامم وسنّ الشرائع وإدارة الشعوب لتقودهم الى السعادة الابديّة . وقد بيّن إمام الاحبار في رسالته العامّة ما في مُناصرة العلمانيّة من غضّ ديانة السيد المسيح اذ يُنزلها العلمانيُّون منزلة الديانات الباطلة ويجعلونها وإيّاها في مستوًى واحد ثمّ يحاولون إخضاعها للسلطة المدنيّة وقد بلغت بهم القحة الى أن حاولوا ان يجرّدوا الحكومة من كل دين ويُلغوا من رسومها اسمهُ تعالى عزّ وجلّ وبذلك فتحوا باباً واسعاً للاثم والمشاغب وذكّوا اساس المدنية الاجتماعيّة التي تستمدُّ من الله كل قوّتها

فترى باي صواب وباي حكمة قام الحبر الاعظم ليناصب هذا الروح الفاسد بانشائه عيد المسيح الملك وقرّر تعييدهُ بكلّ رونق في اربعة اقطار العالم واختار للاحتفال به الاحد الاخير من تشرين الاوّل لان به توشك ان تُختَم السنة الطقسيّة التي تبتدئ في الكنيسة في غرّة تشرين الثاني . فيكون عيد المسيح الملك كختام كل اسرار حياته التي يُتمّ الاحتفالُ بها على توالي أيّام السنة فيصبح كعيد مُجمَل لها جميعاً ومتمّم لتفاصيلها

ثمّ انهُ بوقوعه في هذا الاحد يسبق عيد جميع القديسين الواقع في غرّة تشرين الثاني فيكون للمسيح التصدُّر على سائر عبيده واوليائه يتقدّمهم كرأسهم الاعظم

فعسى ان يكون لهذا العيد الجديد ما يستحقُّهُ من الاقبال والأبهة فيزرع في القلوب اشرف العواطف من الحبّ والتقى لذاك الذي هو «الالف والياء والبداية والنهاية والاوّل والآخر» (رؤيا ٢٢ : ١٣) له وحدهُ العزّ والمجد والسجود الى ابد الدهور